

عملية السلام: الدبلوماسية الأميركية

والصراع العربي - الإسرائيلي منذ سنة ١٩٦٧

Peace Process: American Diplomacy and the

Arab-Israeli Conflict Since 1967

By William B. Quandt. Washington and Berkeley:

Brookings and the University of California Press, 1993.

وليم كوانت مؤهل على نحو فريد للكتابة عن السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي. فهو خبير بهذه الشؤون منذ سنة ١٩٦٨، وشارك في رسم السياسة المتعلقة بها كعضو في جلس الأمن القومي خلال فترتي ١٩٧٢ - ١٩٧٤ و١٩٧٧ - ١٩٧٩، وله صلات معرفة وعمل مع كثير من المشاركين فيها، وكتب كثيراً عن هذا الموضوع. ويتيح له عمله كباحث في مؤسسة بروكينغز موقعاً لا نظير له لمتابعة الأحداث ومراقبة ما يجري تحت السطح. وكتابه هذا، إذاً، رواية شخص مطلع على الأحداث من الداخل، لكنه يملك بالإضافة إلى ذلك مؤهلات أكاديمية جادة، وألّف دراسات كثيرة أصيلة عن الموضوع.

هذا الكتاب المهم هو بمثابة توسيع وتحديث لعمل كوانت الكلاسيكي "عقد القرارات" (*Decade of Decisions*) (١٩٧٧)، الذي تضمن وصفاً وتحليلاً لسياسة الرؤساء الأميركيين الثلاثة: جونسون، ونيكسون، وفورد، تجاه المشكلة العربية - الإسرائيلية. ويقوم كوانت في هذا العمل بمراجعة كتاباته الأولى ويواصل بالطريقة نفسها معالجة سياسة إدارات الرؤساء كارتر وريغان وبوش. ويخصص الفصل الأخير للاستنتاجات التي توصل إليها، والتحديات والفرص التي تواجه إدارة الرئيس كلنتون، ويقدم بعض النصائح للتعامل معها. ويشتمل الكتاب على ٩٠ صفحة وثائق رئيسية وملاحق. وبعض هذه المواد ظهر في مؤلفات سابقة لكوانت، لكن نحو النصف الجديد.

يوضح كوانت في المقدمة أن الكتاب "يناقش كيف تؤثر السياسة والعادات البيروقراطية في صنع السياسات وتنفيذها في الأوقات العادية. لكن نقطة الثقل في الدراسة هي تلك اللحظات النادرة عندما يحاول السياسيون فهم تدفق الأحداث المربك،

عندما يحاولون الربط بين الأعمال والقصد من ورائها، إذ عندئذ تكون قدرات الزعامة ومحدوديتها في أوضح تجلياتها.

يبدأ كوانت بالإشارة إلى أنه منذ الخط الفاصل المتمثل في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، تغيرت سياسة الولايات المتحدة الشرق الأوسطية من التشديد على عناصر مضمون السلام إلى التشديد على العملية المؤدية إلى السلام. وفي بعض الحالات، وفرت الولايات المتحدة الوجهة والآلية، وكان ذلك عملية السلام في أحسن أوقاتها. لكن "في أسوأ الأحوال لم يكن ذلك أكثر من شعار لتمير الوقت".

ويذكرنا كوانت بأن الموقف الأميركي الأساسي خلال تلك الفترة بقي ثابتاً بصورة لافتة. وعموماً، أيدت الإدارات الأميركية المتعاقبة مفهوم مقايضة الأرض بالسلام، والموقف القائل إن القدس الشرقية أرض محتلة، وأياً يكن وضعها النهائي يجب ألا تقسم مجدداً، وأن المستوطنات هي على الأقل عقبة في طريق السلام، وأن نوعاً من الشراكة مع الأردن أفضل من دولة فلسطينية مستقلة، وأنه يجب المحافظة على تفوق إسرائيل العسكري. ويرى الكاتب أن الولايات المتحدة متمسكة بهذه المواقف بقوة ولا يحتمل أن تغيرها بصورة ملحوظة.

لكن السياسة، من جهة أخرى، لا تعرف الثبات. إنها تتأثر تأثراً شديداً باعتبارات تكتية وبتقديرات بخصوص ما هو ممكن تحقيقه في مقابل ما هو مرغوب فيه. وقد تحدث ظروف الواقع وتصورات تغييراته مهمة في السياسة، إن لم يكن في المواقف الأساسية. وهنا يذكر كوانت كيف جرت إعادة تقدير رئيسية للسياسة بعد أن تقرر أخذ أنور السادات على مجمل الجد في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣.

ويؤكد كوانت أن السياسة المتعلقة بالشرق الأوسط هي من "اختصاص" الرئيس ومستشاريه المقربين، ومنهم وزير الخارجية. وتعتبر وجهة نظرهم المشتركة، لا وجهة نظر الإداريين، العامل الأهم في تقرير السياسة. ويلاحظ أنه منذ سنة ١٩٦٧ يجذب كل رئيس أميركي إلى تعقيدات الصراع العربي - الإسرائيلي، بغض النظر عن نيته عند انتخابه، وأن أحداً منهم لم يتسلم منصبه وفي ذهنه فهم متطور لدقائق هذا النزاع. لكن عند مواجهة الحقائق في الساحة وداخل الولايات المتحدة، تحدث عملية تعليم يتوصل عبرها الرؤساء المتعاقبون مع أوان تركهم لمنصبهم إلى وجهات نظر متشابهة. (يتمنى المرء لو أن هذه العملية تمت بصورة أسرع).

يمكن تلخيص نصيحة كوانت للإدارة الجديدة كالآتي: كوني واقعية في تقويمك للوضع في المنطقة؛ على الرئيس ومستشاريه أن ينغمسوا في العملية وأن يوفروا الانسجام فيما بينهم؛ يجب تطوير أساس الدعم الداخلي باستمرار؛ النجاح كوسيط يتطلب إحساساً بالعملية وبالجوهر معاً؛ اعتمدوا بصورة رئيسية على الدبلوماسية الهادئة قبل إنجاز الصفقات؛ وأخيراً، إن لعنصر التوقيت أهمية كبيرة.

بالإضافة إلى تحليل عملية صنع السياسة، يشتمل الكتاب على نظرات تاريخية نافذة وثرية فيما يختص بما أنجزته الإدارات المختلفة فعلاً. وهنا تبرز أهمية الفصلين الثاني والثالث اللذين يتناولان دور إدارة الرئيس جونسون في حرب حزيران/ يونيو ونتائجها. وقد أمضى كوانت وقتاً طويلاً في مراجعة الوثائق المفرج عنها في مكتبة جونسون، وفي التحدث إلى أميركيين وإسرائيليين بارزين من تلك الحقبة ما زالوا في قيد الحياة. وقد نشهد اكتشافات كثيرة عندما يتم الإفراج عن سجلات أخرى، وعندما تنشر المذكرات، لكن ما كتبه كوانت عن الاتصالات الأميركية - الإسرائيلية خلال تلك الأزمة يعتبر الرواية الأكثر جدارة بالثقة حتى الساعة.

ومثلما فعل في المقال الذي نشرته مجلة *Middle East Journal* في ربيع سنة ١٩٩٢، يقنعنا كوانت بأنه بحلول أواخر أيار/ مايو ١٩٦٧ أدرك الرئيس جونسون أن الحرب واقعة لا محالة، وأنه لن يستطيع منع الإسرائيليين من الهجوم. وفي كتابه هذا يضيف كوانت أن جونسون "اتخذ خطوات للتأكيد للإسرائيليين أن الضوء الأحمر الذي أشعله بتاريخ ٢٦ أيار/ مايو (عندما اجتمع إلى وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبين) تحول إلى ضوء أصفر."

إن كوانت يستنتج ذلك من السجلات، لكنه لا يقدم لنا الأدلة التي قادتته إلى هذا الاستنتاج.

أن يدرك الإسرائيليون أن جونسون غير رأيه بناء على ما أخبره به المحيطون به شيء، وشيء آخر أن يطلب جونسون نفسه من واحد من هؤلاء الإعلام الإسرائيليين بأنه غير رأيه. قد يكون فعل ذلك، بل يمكن أن نقول إنه من المحتمل أنه فعل ذلك، لكننا نحتاج إلى ما هو أكثر لتأكيد. نحتاج إلى معرفة من فعل ماذا ومتى؟

وهناك ملاحظة أخرى أود إبداءها تسجيلاً للحقيقة - ففي حاشية في الصفحة

٦٨ يذكرني بصفتي شخصاً أدى دوراً مؤثراً في رسم السياسة الشرق الأوسطية في الأيام الأولى من رئاسة نيكسون. ليت الأمر كان كذلك، لكنه لم يكن.

يكتب كوانت بوضوح وتحرر من الرطانة الأكاديمية، ويثير كتابه الإعجاب لشموليته وسهولة فهمه. ويمكن للقارئ العادي والخبير على حد سواء فهمه وتقديره. وتبقى نصيحة كوانت لإدارة الرئيس كلنتون صالحة عقب اتفاق ١٣ أيلول/ سبتمبر، والباحثون عن تقويم غير متحيز وواقعي لما تستطيع الولايات المتحدة فعله وما لا تستطيع فعله بشأن المشكلة العربية - الإسرائيلية سيجدونه في هذا الكتاب.

ريتشارد باركر

كاتب ومحاضر مستقل

واشنطن، العاصمة

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>